تاريخ الإرسال: 2018/10/24 تاريخ القبول: 2018/12/28 تاريخ النشر: 2018/12/30

# إسهام الجاحظ في تاريخ البلاغة العربية
## قراءة حوارية لأطروحة العمري في كتابه"البلاغة العربية أصولها وامتداداتها"

**د/بشير دردار**

**قسم اللغة والأدب العربي**

**المركز الجامعي أحمد بن يحي الونشريسي/ تيسمسيلت (الجزائر)**

**الملخص:**

يخالف العمري جمهور الباحثين المعاصرين في تقدير قيمة المشروع البياني الجاحظي، إذ يجعله محدود الأثر في تاريخ البلاغة العربية، حتى أنه يفضل عليه منجز ابن وهب صاحب"البرهان". وأبرز من يعترض عليهم العمري من المعاصرين حمادي صمود الذي تبنى أطروحة مركزية الجهد الجاحظي، واعتبره المؤسس الملهم لكل من جاء بعده. تفيدنا القراءة الحوارية في الكشف عن مستويات الحوارية التي انطوى عليه نص العمري الذي تجنب محاورة صمود صراحة، لكنه شحن نصه بمضمرات تنقض أطروحة محاوره. والغرض إنجاز قراءة خلافية لتاريخ البلاغة العربية تحرص على الاختلاف، لكنها تتهيب السجال.

**الكلمات المفتاحية: العمري–صمود– البلاغة العربية–الجاحظ– الحوارية– المضمر**

**Abstract:**

El omari is opposed to all contemporary Arab scholars concerning Aljahiz's Arabic rhetorical project. According to him , this project have little contributory

effect in the history of Arabic rhetoric. He even prefers Ibn Wahb's work 'El Borhan'. El omari is particularly opposed with Hammadi sammoud who advocates the thesis that considers Aljahiz as the founder of arabic rhetoric and an inspiration to all his successors. Despite this opposition, Elomari avoids getting engaged in a frank dialogue with Sammoud and prefers to stay implicit, so he can make a contrastive reading without being polemical.

Key words: el omari – sammoud- arab rhétoric- el jahiz- dialogism- implicit

## 1) مقدمة:

قيل عن كتب الجاحظ قديما إنها تعلّم العقل و الأدب. وقيل عنه حديثا الكثير في الكثير الذي ألف حوله. ولا زال بمقدورنا أن نقول عن الجاحظ في كتبه إنه معلّم فكر وأدب، ومثير قضايا، وصاحب طروحات لا ينتهي البحث فيها إلى غاية، إلا ليعاود الانطلاق من جديد في بحث ما شقّقته مناقشة هذه القضايا وتلك الطروحات. يُسأل عن الجاحظ في حقل اللغة، فتستحضر دراسات لا حصر لها رصدت جهده، واجتهدت في إحصائه و تحليله، والكشف عن استباقاته في عديد المفاهيم المتصلة بالنحو والصوتيات والصرف والمعجم؛ ويخاض في مسألة التنظير للبلاغة والبيان وما يتصل بهما من ميادين البحث المعاصرة، فتتمشهد أمامنا إسهامات الجاحظ واستباقاته في اجتراح المفاهيم وبلورة التصورات التي تلامس أشد

الملامسة ما اهتدى إليه المعاصرون في حقول الدلالة والتداولية والسيميولوجيا. ويُتحدث عن السرد، وعن علم الكلام، وعن السياسة، وعن الإبستمولوجيا، فيأبى الجاحظ معلّم الفكر والأدب إلاّ أن يداخل خطاباتنا ويتناصّ معها، حاضرا حضورا قويا، ليس أبسط تجلياته، قولنا كلما طرحت قضية مما ذكرنا: إن للجاحظ فيها رأي مبتدأ، أو نظرة مستبقة.

ويبرز الإسهام الجاحظي في هذا التراث الغني بالاستباقات، أكثر مايبرز في مجال البلاغة باعتبارها فرعا من فروع البيان بمفهومه الواسع الذي أكسبه إياه الجاحظ(يسميه العمري نظرية الرمزية الكونية [1])، وجعله عديلا لما نسميه اليوم السيميولوجيا أو علم العلامات، انطلاقا من فكرة انتبه إليها الجاحظ قديما، وكرّسها أعلام السيمائيين المعاصرين من أمثال بارت وبنفنيست[2]؛ فكرة هيمنة النظام اللغوي على باقي الأنظمة السيميائية من ناحية، وهيمنة الممارسة الخطابية المتجهة نحو الجمهور الواسع على غيرها من الممارسات اللغوية. وهذا تحديدا ما وقف عنده محمد العمري واعتبره اختزالا لمفهوم البيان في البلاغة أولا، ثم اختزال للبلاغة ثانيا في بلاغة الخطابة(الخطاب الشفوي) دون غيرها من أنماط الخطاب.

بيد أن ما أراد الجاحظ التركيز عليه في السياق الثقافي الذي كان يحيط به، هو رسم الدائرة الأوسع للبحث، التي تتسع لمختلف أنماط البيان التي جعلها خمسة، دون إبداء النية في تعمقها وتسطير برنامج لبحثها بحثا مفصلا، [3] لينطلق من بعد ذلك إلى دراسة ما كان يعنيه في معيشه الثقافي والسياسي؛ وهو دراسة الآليات الخطابية التي تؤدي إلى التأثير في المتلقي وحمله على تغيير مواقفه وآرائه وتوجهاته. ولما كان للخطابة سلطان قاهر وسحر ظاهر عند العرب على زمنه،[4] لم يكن للجاحظ بد من أن يشتغل على متنها في تطبيق مفاهيمه العامة حول البيان، ومفاهيمه الخاصة حول

بلاغة اللغة الطبيعية عندما يُمارَس بواسطتها أكبر قدر من التأثير على المتلقي.

تطمح هذه المقالة إلى تقديم قراءة حوارية لخطاب العمري الذي أراد من خلاله أن يقوّم الإسهام الجاحظي وفقا للثنائية المشهورة لديه: المأمول والمنجز. فتطرح على هذا الخطاب أسئلة، وتتجرأ عليه ببعض الاعتراضات، وتختبر خصوبة ما انتهى إليه من أحكام واستنتاجات.

**2) إشكالية البحث ونموذج التحليل:**

ننطلق في هذه القراءة الحوارية من فرضية عززتها قراءتنا لعدد من مؤلفات العمري التي تعرض فيها لتقويم الجهد الجاحظي في حركة تطور البلاغة العربية، ولاسيما ما تضمنه كتابه واسع الشهرة" البلاغة العربية أصولها وامتداداتها"، وكذلك قراءتنا لكتابات تناولت الموضوع نفسه، وصدرت في مواعيد زمانية متقاربة نسبيا، ونخص هنا بالعناية والاستنطاق كتاب حمادي صمود "التفكير البلاغي عند العرب". والكتابان كما يتحاوران فيما بينهما ثنائيا، يحاوران عددا من الأصوات الأخرى، بمقتضى الخاصية الحوارية أو التناصية الملازمة لكل خطاب.[5]

والذي دعانا لحصر قراءتنا الحوارية في هذين المؤلفين، هو قيمتهما المرجعية الثابتة عند المشتغلين بالدراسات البلاغية المعاصرة، وتبنيهما كلٌّ بطريقته لمنظور تحليلي معاصر أو أكثر في تتبعه ودراسته لحركة تطور البلاغة العربية القديمة، منذ نشأتها إلى بلوغها مرحلة النضج ثم التحجر. يضاف إلى هذين الاعتبارين ما لاحظناه من اشتغال الكتابين على مادة بحثية تكاد تكون متشابهة، وإن افترقا في تأويل مدلولاتها، وتعليق الأحكام بجملتها وتفاريقها. والمثال الأبرز لهذا الافتراق هو الموقف من الإسهام الجاحظي في تاريخ البلاغة العربية القديمة، وتأثيره على خطة الكتابين

ومنهجهما وسيرورات التحليل في كل منهما؛ فبين مركزية يمنحها صمود للجاحظ وتنظيراته البلاغية المؤسّسة، وزاوية ضيّقة يحشره العمري فيها مستدركا عليه ما اعتذر له فيه جمهور الدارسين، ومفضلا عليه ابن وهب وكتابه "البرهان"؛ بين هذا وذاك تنفسح آفاق ممتدة لتخييب توقعات القارئ، وزلزلتها من أساسها.

الأسئلة التي أنتجتها قراءتنا لهذين الكتابين، ولكتب أخرى لا تستحضرها الذاكرة كلها الآن،[6] هي أسئلة تفجّرها الحوارية المستترة بين الكتابين، أو بالأحرى الحوار الصامت الذي أراد العمري أن يلزم به نفسه في مواجهة كتاب صمود، وما حمله من مضامين كانت تهجس بها نفسه وهو يفكر في موضوع تاريخ البلاغة العربية. لذلك كان مشروعا في نظرنا أن نطرح أسئلة من قبيل: ماذا أضاف كتاب العمري إلى ما جاء به صمود في كتابه؟ وإن كانت هنالك إضافة حقيقية، فلماذا خلا كتاب العمري من الاعتراض على صمود في مجمل الأطروحة التي حملها كتابه و/أو في تفاصيلها؟ ولماذا اختار العمري أن ينتقد بعض الباحثين "صغيري" الأسماء، على أن يخوض مناقشة علمية جادة مع كتاب اعترف بفضله في مقدمة كتابه، وعمل على نقضه في متنه وعتباته، دون الإحالة الصريحة إليه؟

اعتمدنا في تصور الإشكالية ومعالجتها على نموذج في التحليل اقترحته الباحثة إدي رولي Eddy ROULET، يقوم على استثمار مفهوم الحوارية، ويقع التمييز بموجبه بين الزوجين: الحواري الأحادي والتحاوري، dialogal/ monologal القائم على النظر إلى عدد المتكلمين، والذي يفرز بمقتضاه بين الأنماط الكتابية والأنماط الشفوية عادة؛ والحواري الذاتي والحواري dialogique /monologique ، الذي يتأسس على النظر إلى نمط بنية الخطاب، وقابليته لحمل أصوات المتكلمين حاضرين أوغائبين.[7]

فباستلهام باختين أمكن لباحثين معاصرين تعريف "الحواري" بأنه توجه كل ملفوظ (=دور كلام)، بحكم طبيعته التكوينية، ومبدأ إنتاجه، نحو الخطابات المنجزة سابقا حول الموضوع نفسه، وأيضا نحو الخطابات– الجوابية التي يستقطبها، و نحو ذاته بوصفه خطابا. ينتج عن هذا التوجه الثلاثي تفاعل ثلاثي الأقطاب[8]:

- عندما يخوض المتكلم(المؤلف) في موضوع ما، يتفاعل ضرورة مع الخطابات المنتجة سابقا حول الموضوع نفسه؛ وهي الخطابات التي لا يملك أن يتجنب التفاعل معها.
- يتوجه المتكلم لمحاور بعينه بخطاب يدور حول استجابة الفهم التي لا ينفك عن محاولة استباقها. [9]
- يحاور المتكلم ذاته ضمن مسار التلقي الذاتي. يحدث ذلك في النص ذاته أو في عدة نصوص.

### 3) مستوى التفاعل الحواري الأول: العمري محاورا للعمري

لا يتبيّن لنا موقف العمري من الإسهام الجاحظي من حيث درجة حدّته، إلا من خلال تتبع المواضع التي كشف فيها عن هذا الموقف في عدد من مؤلفاته. وهذا التتبع والتفكيك وإعادة التركيب، كفيل في نظر القراءة التي نقدمها بالكشف عن أصوات متعددة للعمري حول القضية نفسها. فهذه الأصوات المتعددة لمتكلم واحد تكشف لنا الحرج الذي عاناه العمري في الالتفاف على ما أجمع عليه جمهور الباحثين حول قيمة الإسهام الجاحظي ومركزيته، وتجنبهم مطالبته بما لا يحقّ أن يطالب به من جودة الإنجاز في زمن لم يكن يتيح بالمقاييس الموضوعية نصف ما أنجزه الجاحظ.[10] يقول شارل بيللاCharles PELLAT:" و لا ندري إلى أية ظروف أو تأثيرات مباشرة يدين الجاحظ في انقطاعه إلى العلم، في حين أن لا شيء يؤهله

لمهنة الكتابة، ولم نتوصل بعد إلى الإجابة عن هذه المسألة الشائكة إجابة مرضية، ولذا وجب علينا الاكتفاء بالظواهر دون محاولة تفسيرها إلا بنسبتها إلى ذكاء حاد فريد في نوعه، وميل وراثي للتفكير العقلي "[11]

نعرض فيما يلي رأي العمري حسب درجة حدته التي تغيرت نسبيا من مؤلف إلى آخر، لنقف على الخلفيات التي تختبئ وراء تعدده وتلونه حسب السياقات:

**1.3) في كتاب البلاغة العربية أصولها وامتداداتها:**

**1.1.3) عتبة الفهرس:** يفيدنا فحص فهرس موضوعات هذا الكتاب في تبيّن المكانة التي يمنحها صاحبه للجاحظ. فمن مجموع تسعة فصول، موزعة على قسمين، خمسة للأول، وأربعة للثاني زيادة على مدخل عام من 37 صفحة، لا يخصص الكاتب سوى فصل واحد، هو الفصل الرابع للجاحظ(ص187_211)، أي 24 صفحة من مجموع 519 صفحة هي حجم الكتاب. وزيادة على ضآلة حجم ما خصّص للجاحظ من صفحات في كتاب يؤرخ لتطور البلاغة العربية، لم يذكر العمري اسم الجاحظ في عنوان الفصل:" المعرفة والإقناع، من البيان إلى البلاغة "، ولا في عناوين مباحث تابعة له، وهي أربعة مباحث على التوالي: مشروع البيان، مفهوم البيان، المعرفة والإقناع، مكونات الخطاب البياني، المحتوى الفكري للبيان. ولا يذكره إلا في مبحث خامس في عبارة تحمل دلالة سلبية:"البيان بعد الجاحظ"[12]

ومع أن الفهرس لا يمثل سوى عتبة من عتبات الخطاب، فإن القراءة الفاحصة له تدلنا دلالة واضحة على أن صاحبه أراد مخالفة خطة صمود، واحتفائها الكبير بالجاحظ من خلال ذكره المتكرر في عناوين

الفصول الثلاثة الكبرى للكتاب: البلاغة قبل الجاحظ، الحدث الجاحظي، البلاغة بعد الجاحظ إلى القرن السادس.[13]

غير أن حرص العمري على المخالفة بأي ثمن، يتضح لنا أكثر في أحكامه القاسية البعيدة عن أي موضوعية في متن الكتاب، وتحديدا في الفصل الصغير الذي خصص للجاحظ، والذي أشرنا إلى بعض تفصيلاته الشكلية قبل قليل. فماذا قال العمري عن الإسهام الجاحظي؟ وكيف قيمه؟

**2.1.3) متن الكتاب /الموقف من الجاحظ:** سنقتصر في هذا الموضع على إيراد مقتطفات قوية الدلالة على غرابة موقف العمري من الجاحظ، تلك الغرابة التي لا نجد لها مبررا موضوعيا، سوى أن الجاحظ يدفع ثمن الموقع المركزي الذي اعترف به له جمهور الباحثين، وخاصة حمادي صمود في كتابه المعروف، والذي يبدو أن العمري تجنب مناجزته علميا في الظاهر، وعمد إلى نقضه جملة وتفصيلا في الباطن، دون أن يعلن عن ذلك، أو يتبناه تبنيا صريحا.

يقول العمري: "لم يقدم لنا الجاحظ ما يدل على تفريقه بين المستوى المعرفي العام للبيان والمستوى الإقناعي التداولي الخاص، بحيث يكون الثاني، الذي اعتبرناه بلاغيا، مستوى من مستويات الأول الذي اعتبرناه لغويا أو سيميائيا"[14]. وفي هذا ما فيه من التفاف على ما أصبح معروفا ومعتمدا في الدراسات الجاحظية من اعتذار للجاحظ عن العيوب المنهجية التي تكشفت للمعاصرين، بسبب الفارق الزمني وما نتج عنه من تراكم معرفي مكنهم من إعمال الأدوات المنهجية المتعددة والرؤى العلمية الناضجة، للكشف عن اختلالات التأليف ونقائصه. ومع أن هذه الأدوات تتيح ذلك، إلا أنها لا تبيح لنا أن نطالب الكاتب بما يتعدى الأفق المعرفي

لعصره. ومن الغريب اللافت للانتباه أن العمري نفسه يشير إلى ذلك في كتاب آخر، دون أن يوظفه في تلطيف حكمه حول الإسهام الجاحظي.[15]

وفي موضع آخر من الفصل نفسه وفي الكتاب نفسه، يؤكد العمري حكمه ذاك في حق الجاحظ بعبارة أكثر حدة، حين يقول :"لم يكد الجاحظ ينتهي من تعريف البيان باعتباره فهما وإفهاما بالوسائل اللغوية وغير اللغوية حتى قايض كلمة بيان بكلمة بلاغة...قلنا "قايض"لأنه لم يقدّم أي بيان يرتب العلاقة بين المفهومين. كان يتحدث عن البيان باعتباره موضوعا للكتاب ثم صار يتحدث عن البلاغة باعتبارها الموضوع نفسه...وفي ظل هموم تربوية تعليمية(تعليم الخطابة) يظهر المقام باعتباره حكما...وفي هذا السياق يقايض المؤلف، مرة أخرى، فيتحدث عن الخطابة كمرادف للبلاغة. ولا غرابة في ذلك فقد كانت البلاغة في تصور ذلك العصر تنظر إلى الخطابة بقدر ما سينظر البديع إلى الشعر".[16] ما يسوقه العمري هنا من ملاحظات ينفرد بها بين جمهور النقاد، يناقض ما يدعيه من استعانة بالمناهج المعاصرة، ولا سيما مناهج القراءة والتلقي، فقراءة النصوص القديمة تقتضي استحضار آفاقها المعرفية، وانتظارات قراء تلك الحقبة التاريخية، من خلال النظر في منجزات النقاد والبلاغيين الذين عاصروا الجاحظ، أو تقدموا عليه في الزمن. وهذا ما يغفله العمري إغفالا متعمدا، ليكون بمقدوره إنجاز القراءة المخالفة للتراث البلاغي القديم، بأي ثمن، ويتجنب الحوار الصريح مع صمود.

والذي يدلنا على هذا الحرج الذي نستشعره بوضوح عند قراءة كتاب العمري، وإصراره على تهميش الجاحظ في إعادة بناء النظرية البلاغية العربية، فلتات اللسان أو زلات القلم التي لم يستطع أن يتحكم فيها، وهو يخوض في قضايا البلاغة في كتب أخرى له.

**2.3) في كتاب الموازنات الصوتية/ في الرؤية البلاغية والممارسة الشعرية، نحو كتابة تاريخ جديد للبلاغة والشعر:** في هذا الكتاب (يشير في مقدمته إلى أنه ألف قبل1999، وهو بذلك سابق بقليل في صدوره، على كتاب البلاغة العربية أصولها وامتداداتها)[17] كان العمري أكثر اتزانا في تقويم الإسهام الجاحظي، بعيدا عن تلك الحدة التي تميزت بها أحكامه في كتاب "البلاغة العربية"، يقول : "ويبدو ـ من خلال هذين الكتابين ـ أن الأمور كانت تسير بسرعة كبيرة خلال القرنين الثالث والرابع (هـ) سواء على مستوى المطالب المنهجية، أو المعطيات الاجتماعية . الثقافية، فلم ير ابن وهب في كتاب الجاحظ غير أخبار منتخلة، وخطب منتخبة... "[18]. فرغم إيراده لرأي ابن وهب المشهور في كتاب البرهان في وجوه البيان، بهذه العبارة الخالية من أي موجّه يدل على موقفه وانحيازه، فإنه يلتمس للجاحظ عذر التقدم الزمني الذي لم تكن مطالبه المنهجية تلزمه بدرجة إجادة وإتقان أكثر مما أنجزه وجاء به.

غير أن هذا الاتزان والاعتدال سرعان ما يطّرح جانبا، ليحل محله اعتداد بالمنجز التنظيري لابن وهب مقابل استقلال لجهد الجاحظ وفضله التأسيسي. ولا غرابة في ذلك إذا علمنا أن كتاب "الموزانات الصوتية" في نسخته الأخيرة المعدلة، هو توأم كتاب "البلاغة العربية أصولها وامتداداتها"، كما تدلنا على ذلك بيانات صدور الكتابين. تأمل هذه المقارنة التي تغفل فوارق الزمن وتاريخ القراءات، إغفالا ظاهرا: "وفي الوقت الذي يصعب، إن لم يتعذر، استخراج خطة منهجية لبناء كتاب البيان والتبيين، خطة تلتزم بالعنوان، وإن كانت الأهداف المتوخاة من التأليف واضحة، نجد كتاب البرهان مبنيا على خطة مفصلة، تقوم على السير من الكل إلى الجزء، من المشترك إلى الخاص... "[19] انحياز لابن وهب، وإهمال لمعطى الفارق

الزمني يترتب عنه مخالفة لأصول كل المناهج المعاصرة في قراءة النصوص القديمة، ذلك أنه لو صح أن نقارن بين كتابي الجاحظ وابن وهب وبينهما فارق قرن من الزمن تقريبا، فما الذي يمنعنا من أن نقارن منجزه ومنجز عبد القاهر الجرجاني أو حازم القرطاجني؟ يفيدنا في إضاءة هذه المسألة الرأي الرصين لعبد السلام المسدي في تفسير نقائص التأليف الجاحظي . يقول المسدي في إدراك واضح لمسألة التراكم المعرفي وأثرها على المنجز الجاحظي:"إن أول ما يطالعنا به كتاب "البيان والتبيين" هو أن لصاحبه إحساسا واضحا بضرورة إدراك منهج محكم إحكاما نهائيا، فهو فضلا عن تقسيم كتابه إلى أجزاء مقصودة الفواصل، ثم إلى أبواب صريحة الحدود، يضع لجل الفصول عناوين فيها من التجريد والشمول ما يجعلها محركا دلاليا لكل المادة في الحامل للعنوان كما في "باب البيان"(1_75) وكما في "باب القول في المعاني الظاهرة باللفظ الموجز "(1_210)..."[20]

شتان هنا بين الفحص العلمي الذي يحرص على قياس مقدار ما تحقق للجاحظ من التحكم المنهجي في مادة كتابه، وبين التسرع إلى الحكم عليه باستحالة استخراج خطة كتابه، والانتصار المجاني لكتاب البرهان،[21] الذي يحق لنا أن نتساءل حوله جملة من الأسئلة: هل كان ابن وهب ليحقق ذلك المنجز لولا استفادته من المتقدمين عليه، وخاصة الجاحظ الذي اعترف باطلاعه على كتابه؟ وهل يتساوي المؤسس مع المتبع الذي ليس سوى واحد من التابعين في عرف مؤرخي تطور الأفكار والمعارف؟ هذا دون أن نطرح أسئلة أقوى في نبرة الاعتراض على قيمة منجز ابن وهب في حد ذاته؟ [22] وأين التحقيق عند باحث معاصر يوافق علما قديما على الافتخار بمنجزه، دون أن يتحقق من صحة ما يدعيه، على الأقل من ناحية أخلاقيات العلماء وأهل المعرفة؟ أليس في ذلك مخالفة لقاعدة ذهبية في أصول الحوار، هي

قاعدة التواضع، حسب ك.أوركيوني؛ القاعدة القائلة: لا تمجّد نفسك، فتكون مثل من يلقي على نفسه الزهور زهوا وتباهيا (La règle de modestie ou règle des fleurs؟)[23]

والمستغرب في لائحة الاتهام التي تفنن العمري في إعدادها ورفعها في وجه الجاحظ ومناصريه، هو مطالبته بإنجاز بحثي وتأسيس نظري مفاهيمي، لم يتحقق إلا في العصر الحديث، متجاهلا الاستباق الذي حققه الجاحظ في عصره عندما حدّد موضوع علم العلامات، وعدد أصنافها، وهو ليس بالشيء الهين. يقول العمري: "لهذا أعتقد أن الرؤية البيانية عند الجاحظ مهما اتسعت، خاصة في بعض النصوص التي أوردها في باب البيان وفي الحيوان، وذكر فيها أصناف الدلالات على المعاني، هي رؤية بيانية لغوية تهتم بالبيان باللفظ بيانا متفاوتا أي بلاغيا. أما ذكر أصناف البيان الأخرى فكان عملية إخلاء لتحديد الموضوع الذي هو الدلالة باللفظ أي (باب العبارة) حسب خطاطة ابن وهب..." [24] ما العيب في أن ينطلق الجاحظ من المفهوم العام للبيان(العلامة السيميائية) كمقدمة، ليتعرض بعد ذلك للبيان اللغوي(العلامة اللغوية)، وهما يمثلان الشق النظري، ثم ينتهي إلى التطبيق على الممارسة البيانية، ممثلة في الخطابة التي قال عنها العمري نفسه: " ولا غرابة في ذلك فقد كانت البلاغة في تصور ذلك العصر تنظر إلى الخطابة بقدر ما سينظر البديع إلى الشعر"؟ [25]

إذا تركنا هذين الكتابين التوأمين واتجهنا إلى استنطاق كتاب ثالث للعمري أحدث صدورا منهما، ألفينا الفرق كبيرا جدا في درجة حدة الموقف السلبي من الجاحظ، بل لعلنا نخرج من قراءة هذا النص الأخير بانطباع أن صاحبه ليس هو العمري المتحدث في كتابيه السابقين.

**3.3) في الكتاب الجماعي البلاغة والخطاب:** في هذا الكتاب الصادر عام 2014، يساهم العمري بمقالة عنوانها: "البلاغة العامة في حوار الرصد والتنظير من الشعر إلى الخطاب"، يخصصها لرصد إسهام أبي حيان التوحيدي وتقييمه، معبّرا عن أسفه على عدم إدراجه ضمن كتابه "البلاغة العربية أصولها وامتداداتها "، ومعتذرا عن ذلك. كما يقول إن هذه المقالة نوع من الاستدراك الذي يراد به رد الاعتبار لهذا العلم، الذي لا يصح تجاهله في كتابة تاريخ البلاغة العربية من منظور معاصر.[26]

يستدرك العمري في هذا المقال، فيراجع حكمه على مشروع الجاحظ بعد ما يسميه "إعادة اكتشاف المحاورة السابعة من ليالي الإمتاع والمؤانسة ...في المفاضلة بين البلاغة والحساب" قائلا :" فقد كان هذا الامتداد_ لو كشف عنه النقاب_ سيغني مشروع الجاحظ، وذلك بإخراج الخطابية (بلاغة الإقناع) من الأفق الشفوي الذي نظر منه الجاحظ ونظّر له، ومن الأفق المنطقي الذي حشرها فيه ابن وهب، إلى أفق الإنشاء وسياسة الدولة"[27]. ويضيف في موضع آخر:"أبو حيان هو أنجب تلاميذ المدرسة الجاحظية رؤية وأسلوبا؛ تكمن قوته، مثل قوة الجاحظ، في رصد البلاغة وتتبع مواطن حضورها، وليس في تنظيرها وتحديد سر ماهيتها، وإن كان الجاحظ قد حاول التنظير في حدود ما سمح به الرصيد المعرفي لعصره الذي ما زالت تهيمن عليه الشفوية..." [28]

أين الجاحظ الذي قايض البيان بالبلاغة، ثم قايض البلاغة بالخطابة؟ وأين الجاحظ الذي لا نستطيع استخراج خطة من كتابه؟ هل هذه المقالة نوع من الاعتذار للجاحظ؟ وهل هي محاولة من العمري لترقيع الخروق الواسعة التي اضطرته إليها ملابسات تأليف الكتاب الذي ظل يحلم به، ويمني النفس بإنجازه؟ هل كان عليه أن يجد كبش فداء، يضمن لكتابه

صفة التميز وخلخلة أفق انتظار القراء، بتحطيم أسطورة الجاحظ الذي سبقه آخرون إلى الاحتفاء به والإشادة بمنجزه؟ قراءة الحوار الخفي الذي دار بين العمري وصمود قد تجيبنا عن هذه الأسئلة.

**4) مستوى التفاعل الحواري الثاني: العمري محاورا لصمود:**

يحضر صوت حمادي صمود في نص العمري حضورا طاغيا حتى وإن لم يستشهد به العمري إلا مرتين في متن كتابه،[29] فقد قضت خطة العمري الذي وجد في كتاب صمود صورة لما كان يعتزم كتابته من منظور معاصر، أن يتجاهل محتويات الكتاب وطروحاته وآراءه، وأن يموّه خطته بأن يخرب الحجر الأساس فيها وهو مركزية الجاحظ في النظرية البلاغية العربية القديمة، باعتباره مؤسسا وملهما لكل من جاء بعده، فيضمن بذلك لكتابه موقع القراءة الخلافية لموضوع تاريخ البلاغة العربية. غير أن ذلك المشروع الذي تحكمت فيه الاعتبارات الذاتية شعوريا ولاشعوريا، دفع العمري دفعا إلى التضحية بالجاحظ ليصنع منجزه النادر. كيف تم ذلك؟

الهجاس الذي صاحب العمري هو: كيف أتميز عن صمود ولا يكون كتابي نسخة منه بنسبة من النسب، أو صورة من الصور؟ لم يكن بإمكان العمري أن يتجنب الإشارة إلى كتاب حمادي صمود، وهو الكتاب الذي صدر بحوالي عشرين سنة قبل كتابه، سنة 1980، فكان الذكر الصريح للكتاب وصاحبه مصحوبا بالإشادة (فعل حفظ ماء وجه المحاور[30]) في المدخل العام عند تعرضه لمراحل التأليف في تاريخ البلاغة، عادّا الكتاب ممثلا للمرحلة الثانية التي يسميها"مرحلة الكتابة من منظور حداثي لساني..." ملحا على تاريخ التأليف، وهو سنة1980، إلحاحا يكشف عن رغبته في تبرير استئناف القول في الموضوع.[31] فكأنما يكفي

مرور عشرين سنة على تأليف كتاب ليكون مشروعا استئناف القول في موضوعه بالضرورة والحتم.

يعزز هذا الرأي الهامش الذي يعود فيه العمري إلى ذكر حمادي صمود، وإبراز مخالفته له في تقدير قيمة الإسهام الجاحظي، يقول :"خصص الأستاذ حمادي صمود قسما كبيرا من أطروحته: التفكير البلاغي عند العرب لـ"الحدث الجاحظي" وهو حدث "التأسيس"(ص137-307). وقد قدم متنا مهما للبلاغة الجاحظية وضبط الكثير من المفاهيم وقيّد الكثير من الأحكام بشأن هذه البلاغة. وهذا الفصل من كتابنا يتقاطع ويتكامل مع عمله برغم أن توجهنا مصوب نحو بنية البيان والتبيين ومبادئ بلاغة الإقناع" [32]. ولنا أن نتساءل بعد إيراد هاتين الملاحظتين: لماذا استحضار حمود في الهامش، وإهمال محاورته في المتن؟ ولماذا الاكتفاء بالنقد المبطن لاحتفاء صمود بالجاحظ من خلال الإشارة إلى طول الفصل المخصص له وتحديد عدد صفحاته؟ ولماذا إغفال ملاحظة حضور الجاحظ في عناوين كل الفصول في كتاب صمود: "البلاغة قبل الجاحظ"و "البلاغة بعد الجاحظ"؟ وأخير لماذا حصر الدراسة في البيان والتبيين، وقسرها على إبراز مبادئ بلاغة الإقناع دون غيرها من البلاغات؟

يختفي وراء هذا التهيّب من محاورة صمود صراحة في نظرنا، والاعتراض عليه، انبناء خطة العمري على زعم مفاده أن الكتابين يتقاطعان في الاهتمامات والانشغالات، ويختلفان في المناظير وزوايا الرؤية، ومن ثم فهما يتقاطعان ولا يتدافعان.

هذا الزعم يصعب تصديقه في نظرنا لأن العمري وهو صاحب الكتاب الأحدث صدورا، اختار الاعتماد على التضمين والإضمار في الرد على صمود ونقض أطروحته التي قامت أساسا على تثمين صريح وواضح

للإسهام التنظيري الجاحظي، في حين اختار العمري أن يخصص له مكانا ضيقا، ليس أدل على تدني قيمته من تفضيل ابن وهب عليه.

يتجلى الرد الضمني الذي اختاره العمري في محاورته لصمود في مجمل مكونات الكتاب، في مقدمته وفي خطته وفي عتبة الفهرس خاصة. أما المقدمة أو المدخل فقد سبق الحديث عنهما، وأما الخطة فتتكشف لنا مضمراتها من خلال فحص فهرسي الكتاب، فهرس كتاب العمري لا يذكر فيه الجاحظ على الإطلاق في العناوين الكبرى، وفهرس كتاب صمود يذكر فيه الجاحظ ضمن عناوين الفصول الثلاثة الكبرى المكونة لمتن الكتاب. ويدلنا هذا على موقفين متناقضين : التحجيم مقابل التضخيم، والطرفية مقابل المركزية. [33]

والذي يؤكد ضمنية الرد وتهيب الرد الصريح من جانب العمري هو خلو كتابه من أي شاهد مقتطف من كتاب صمود، ولو كان هذا الشاهد مسوقا لإثبات التقاطع والتكامل الذي ادعاه العمري في الهامش الذي أشرنا إليه سابقا. وخلافا لذلك اختار العمري كتّابا آخرين للتشهير بمخالفاتهم المنهجية، وغياب الرؤية العلمية عندهم، كاستحضاره لمقتطف من كتاب محمد بناني وتعليقه عليه،[34] وإشارته إلى قصور معالجة الشاهد البوشيخي وتلامذته لموضوع المصطلح البلاغي.[35] وغضبته الكبرى قي كتابه الأخير"المحاضرة والمناظرة في تأسيس البلاغة العامة" [36] وهي غضبة تثير الدهشة والاستغراب، فالكتاب ذو الـ 407 صفحات ليس سوى ردّ على كتاب "التبالغ والتبالغية. نحو نظرية تواصلية في التراث" [37] نال صاحبه رشيد يحياوي جائزة المغرب للكتاب، عام 2014. وفيه يقدم العمري نفسه بوصفه حامي حمى البلاغة وحارس حياضها. [38]

ولا بد لنا ونحن نحاول أن نثبت فرضية الحوار الضمني بين العمري وصمود أن نكشف النقاب عن مواضع هذا الحوار في كتاب صمود "التفكير البلاغي عند العرب". وهو التمشي الذي سنعكف عليه فيما يلي:

تقابلا مع آراء العمري التي قدمناها في مبحث سابق عنوانه" العمري محاورا للعمري" والتي تبيّنا من خلالها كيف تم تحجيم الجهد الجاحظي، والانتقاص منه، وتقليل قيمته. نستعرض الآن مقتطفات من كتاب صمود تقع على طرفي نقيض مع ما تبناه العمري من أحكام قاسية في حق الجاحظ.

يبرر صمود اختياره الجاحظ كمركز للنظرية البلاغية العربية بقوله:"ولم نخرج عن هذا الالتزام إلا في القسم المخصص للجاحظ لأنه، في اعتقادنا، وضع الأسس الكبرى للتفكير البلاغي بحيث تبقى الفترات الموالية تستلهم مادته وتستحضر مقاييسه" (39)

أليس هذا ما يرد عليه ضمنيا العمري عندما يستنكف عن أن يذكر الجاحظ إلا مقرونا بتقصير، بله أن ينضم إلى إجماع الباحثين المعاصرين في اعتباره مؤسسا للكثير من المباحث اللغوية والبلاغية والنقدية وغيرها. بل إنه لا يجد حرجا في تفضيل ابن وهب عليه، وهو إمعان من جانبه في تخطئة صمود الذي يعلق في أحد الهوامش على كلام ابن وهب بما يلي: "وقد يحمل هذا على تقليد معروف في الحضارة العربية الإسلامية، فالمؤلف المتأخر يحاول أن يجد مطعنا على المتقدم حتى يقنع بضرورة كتابه، وإلا فإنه، على اختلاف المقاصد من التأليف، قد انساق وراء الجاحظ وقسم وجوه البيان قسمته وأكثر من النقل عنه وقد تفطن المحققان إلى ذلك وأشارا إليه أثناء التحقيق... ثم حتى هذا التحامل فإنه يدل دلالة تاريخية ذات قيمة مفادها أن كتاب "الجاحظ" هو الكتاب الوحيد المختص بهذا

الموضوع أو أن له من الخصائص ما حجب كل المحاولات الأخرى_إن وجدت_ مما يؤكد على دور الجاحظ ومكانته في تاريخ التأليف البلاغي"[40]

وخلافا لما ذهب إليه العمري من تأكيد القصور المنهجي في كتاب الجاحظ، وقوله باستحالة استخراج خطتة من تضاعيفه، مقارنة بكتاب ابن وهب، يصدر صمود عن مقاربة أكثر موضوعية لمنهج الجاحظ في التأليف، وهي المقاربة التي يلتقي فيها مع عبد السلام المسدي الذي أوردنا رأيه سابقا، والتي تنظر إلى تآليف الجاحظ باعتبارها ناقصة النضج من الناحية المنهجية، رغم وعي صاحبها بذلك، وإرجاع ذلك إلى كونه صاحب نصوص مؤسّسة، يقول صمود: "والمؤلف على بينة من غزارة المادة التي يعالجها وتشعبها، حاد الوعي بضرورة ترسم منهج محكم يمكن من إخضاعها وسوقها إلى القارئ في أبواب واضحة الفواصل متينة الروابط. إلا أن الإنجاز الفعلي بقي دون الوعي المنهجي النظري فجاء تخطيط الكتاب صورة لهذا الصراع الذي حملناه على التقاء مفهومين للكتابة لديه: التدوين والتنظيم" [41]

أما ما سماه العمري مقايضة مفهوم بأضيق منه، فيتناوله صمود بطريقة علمية وصفية محايدة، تصف ولا تحكم، ترصد وتجتهد في التأويل الذي لا يخرج الظاهرة المرصودة عن سياقها. فهل يرى صمود_كما رأى العمري _ أن الجاحظ تحايل في استخدام المصطلحات، وأوهمنا بمعالجة موضوع، لينتهي بنا إلى معالجة موضوع آخر. يقول صمود راصدا تبدلات الإحالة المفاهيمية لمصطلح "البيان" في كتاب البيان والتبيين: "لا يجري مصطلح "البيان" في مؤلفات الجاحظ على معنى واحد. فهو يدل، في بعض السياقات، على وسائل التعبير الممكنة بين البشر ومختلف الكيفيات التي يؤدون بها المعنى بقطع النظر عن نوع العلامة المستخدمة. وهذا معنى عام

يتسع للغة وغيرها، ويدخل في مشغل علامي تمخض، اليوم، عن علم قائم الذات يطلقون عليه"علم العلامات"ويضيق، في سياقات أخرى، هذا الحقل الدلالي فيرتبط البيان بعلامة متميزة هي العلامة اللغوية بوصفها أداة مكتملة متطورة تمكن مستعملها من إبراز حاجاته والتعبير عن خوالج نفسه. ويرتبط به معنى فرع عنه توظف فيه العلامة اللغوية لقصد فني تكتسب بمقتضاه خصائص نوعية تعدل بها عن الاستعمال السائر إلى استعمال أدبي تتوفر فيه شروط البلاغة و الفصاحة. فمفهوم البيان، عنده، يتدرج من"العلامية" مطلقا إلى العلامة اللغوية بمستوييها العادي والأدبي" [42].

وقد تنبه صمود إلى استباق مهم عند الجاحظ، يتمثل في إدراكه لأفضلية اللغة الطبيعية وهيمنتها كنظام سيميائي على الأنظمة السيميائية الأخرى، وهو ما يقول به السيميائيون المعاصرون، وعلى رأسهم رولان بارت الذي يرى أنه يستحيل أن تدرس الأنظمة السيميائية الأخرى دون استعانة بمناهج دراسة اللغة الطبيعية.[43] يقول صمود في تعليق طريف على هذه المسألة التي أغفلها العمري: "وفي هذا إقرار بحقيقة تبوأت اليوم مرتبة المسلمات وهي أن اللغة أشد الأنماط التعبيرية التي اهتدى إليها الإنسان اكتمالا وأغناها دلالة وأكثرها ملاءمة لحاجاته في التعبير. فهي تمده بما تعجز عنه الوسائل الأخرى، وفيها من التعقد والتشعب ما يلائم أقدار منزلته البشرية" [44]

**5) خاتمة:** بعد عرض مجمل أطروحة العمري، وما حملته من تباين في الموقف من الإسهام الجاحظي، ثم مقابلتها بأطروحة حمادي صمود، بوصفها الصوت الأكثر حضورا، من بين الأصوات التي استحضرها العمري وناصها في خطابه الذي نعكف على دراسته، نخلص إلى إبداء الملاحظات التالية:

_ التوظيف الواضح والفعال لمفاهيم اللسانيات والعلوم اللغوية المعاصرة، بارز في مقتطفات صمود، الذي يستحضرها ويتكئ عليها في تحليل نصوص الجاحظ، حريصا على إنصاف الرجل، ورصد استباقاته، ووضعها في مكانها من حركة تطور الدراسات اللغوية والبلاغية عند العرب. وهو ما يغيب بصورة جلية في كتاب العمري رغم تبنيه للمناهج المعاصرة، وتأخره زمنيا بما يقارب عشرين سنة.

_ الحياد العلمي تجاه موضوع البحث، وهو ما يتجلى في اللغة المستخدمة، والتي تخلو من المفردات والعبارات ذات الدلالة التمجيدية أو القدحية، ففي حين يستخدم صمود مفردات من قبيل: لا يجري مصطلح...، يتسع، يضيق، يرتبط به معنى فرع، وهي أفعال مسندة إلى الظواهر النصية ذاتها، يفضل العمري مفردات ذات دلالة قدحية تحيل إلى الجاحظ المخادع، مثل: قايض، لم يقدم لنا الجاحظ، كان يتحدث، صار يتحدث، وغيرها

_ رغم اطلاعه على الكتاب، لا يستحضر العمري أيّا من طروحات صمود التي اعترف بغناها المعرفي، وسلامتها المنهجية، وموافقتها أحيانا لما تنتهي إليه معالجاته وتحليلاته من نتائج أو أحكام. وهذا أكثر ما يقلق القارئ الذي يخيّب العمري أفق انتظاره، تخييبا لا يفضي إلى بناء أفق انتظار جديد، بقدر ما يؤبد خيبة القراءة التي تهدم أفقا معرفيا قائما ولا تقيم مكانه أي أفق آخر.

## هوامش وإحالات:

1- محمد العمري:البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ط2، دار أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب2010، ص191

2- سنورد قول بارت في هامش لاحق. أما بنفنيست، فيقول: "اللغة منظومة تفسيرية تستطيع أن تؤدي المعاني التي تؤديها جميع المنظومات الأخرى، اللسانية وغير اللسانية" (نقلا عن: دانيال تشاندلر، أسس السيميائية، ترجمة طلال وهبه، ط1، المنظمة العربية للترجمة– مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت2008، ص34)

3- يوضح ادريس بلمليح ذلك توضيحا يستحق أن نورده هنا. يقول:"وإذا كانت هذه الأهمية التي تتميز بها اللغة، هي التي جعلت علماء السيمياء المعاصرين يولونها أكبر جهدهم وعنايتهم، ويفهمون مجالات الأنظمة الإشارية الأخرى ويدرسونها على ضوء ما يتوصل إليه علماء اللغة من قواعد وقوانين، فإن الجاحظ قد أدرك ذلك بوعي علمي دقيق، فخص اللغة بما لم يخص به غيرها من وسائل البيان"( ادريس بلمليح: الرؤية البيانية عند الجاحظ،ط1، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب1984، ص135)

4- يعلق مصطفى ناصف على ذلك تعليقا دالا، نقتطف منه قوله:"الجاحظ مصروف إلى عبقرية البيان الشفهي. وقد تعرض هذا البيان للنيران حين شبت حركة الشعوبية (...)، وهم فريق من الناس لا يرون للعرب فضلا على غيرهم، بل يبالغون في ذلك فيذهبون إلى تنقصهم والحط من قدرتهم حتى ألفوا في ذلك الكتب(...). هؤلاء الشعوبية طعنوا على خطباء العرب أخذ المخصرة عند مناقلة الكلام... "(محاورات مع النثر العربي،، د ط، سلسلة عالم المعرفة رقم 218، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، فبراير 1997، ص48)

5- يقول باختين:" كل تلفظ – حتى لو كان في شكل كتابي متحجر– يمثل إجابة على شيء ما، ويتشكل بوصفه كذلك. إنه إذن حلقة في سلسلة من أفعال الكلام. فكل تدوين يعد استمرارا للتدوينات التي سبقته، يدخل معها في جدال، ويتوقع منها استجابات فهم، [يحاول]أن يستبقها"

« Toute énonciation, même sous forme écrite figée, est une réponse à quelque chose et est construite comme telle. Elle n'est qu'un maillon de la chaîne des actes de parole. Toute inscription prolonge celles qui l'ont précédée, engage une polémique avec elles, s'attend à des réactions actives de compréhension, anticipe sur celles-ci, etc. »

(Bakhtine (M.). 1929/1977. Le marxisme et la philosophie du langage. Paris:Minuit. p. 105).

6- أبرز ما يمكننا أن نستشهد به قول شوقي ضيف: "وقد ظلت كتابات الجاحظ وملاحظاته في البيان والبلاغة معينا لا ينفد لمدّ الأجيال بكثير من قواعدهما، كل يستمد منها حسب قدرته ومهارته الذهنية. " البلاغة تطور وتاريخ، ط 9، دار المعارف، القاهرة، 1995، ص57

7- Eddy Roulet, l'unité de linguistique française et l'analyse du discours: du passé récent au futur proche, in : Cahiers de linguistique française 10 / 1989, pp 3-12, p6

8- Jacques Brès et Aleksandra Nowakowska, Dis-moi avec qui tu dialogues, je te dirai qui tu es…De la pertinence de la notion de dialogisme pour l'analyse du discours, in : Marges linguistiques - Numéro 9, Mai 2005 - M.L.M.S. éditeur, http://www.marges-linguistiques.com, pp137-153 ,p140

9- رغم أهمية هذا المستوى في دراسات القراءة والتلقي، إلا أننا لن نتناوله بالتحليل في هذا المقال لأنه بعيد عن الإشكالية المطروحة هنا؛ وهي: البحث في التفاعل الحواري القائم بين العمري بوصفه مؤرخا للبلاغة العربية ونظرائه من الباحثين العرب الذين سبقوه أوعاصروه، ممن يشاركونه في هذا الحقل التخصصي.

10-يضيق المجال هنا لو أردنا أن نذكر فقط أسماء هؤلاء الدارسين المعاصرين، وهم بالعشرات، بله أن نورد أقوالهم ونوثق إحالاتها.

11- شارل بيلا: الجاحظ في البصرة. بغداد وسامراء. تر د.ابراهيم الكيلاني. د. ط. ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر. 1986، ص350

12- يراجع ذلك في فهرس كتاب محمد العمري:البلاغة العربية أصولها وامتداداتها

13- يراجع ذلك في فهرس كتاب حمادي صمود: التفكير البلاغي عند العرب، أسسه وتطوره إلى القرن السادس(مشروع قراءة)، دط، منشورات الجامعة التونسية، تونس 1981

14- محمد العمري:البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص200

15- محمد العمري:البلاغة بين التخييل والتداول، د ط، دار أفريقيا الشرق، الدار البيضاء_ المغرب2005، ص39_40. يتأمل قوله خاصة: "ومع ذلك، فإن التيار العام كان لصالح الجاحظ(على حساب ابن وهب)، ظهر ذلك في القراءات اللاحقة ابتداء من العسكري وانتهاء بابن سنان، فقد أخذا من الجاحظ أهم مكونين للخطاب الإقناعي، وهما: المناسبة والاعتدال. وبقي البيان في معناه المعرفي القريب من المفاهيم السيميائية الحديثة خارج المسارات التي تندفع في منحدر المجرى الكبير الذي يسمى البلاغة "

16- محمد العمري:البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص201

17- محمد العمري: الموازنات الصوتية/ في الرؤية البلاغية والممارسة الشعرية، نحو كتابة تاريخ جديد للبلاغة والشعر، ط1، دار أفريقيا الشرق،الدار البيضاء_المغرب 2001، ينظر مقدمة الكتاب، ص6

18- نفسه، ص72

19- نفسه، ص73

20- عبد السلام المسدي: قراءات مع الشابي والجاحظ وابن خلدون، ط4، دار سعاد الصباح، الكويت، 1993، ص 103

21- لا يقارن هذا الرأي برأي ادريس بلمليح الذي لا يحيل إليه العمري أيضا في كتابه، رغم تقدمه الزمني عليه. يقول بلمليح:"إلا أنه يجب التذكير في هذا المجال بأن الجاحظ يعد بحق مؤسس نظرية سيميائية واضحة المعالم، اهتمت بالخط فأدركت بعض أسس نظامه ومبادئه...والذي سيدرس الخط دراسة دقيقة تتميز بالشمول والتفصيل بعد الجاحظ، هو ابن وهب الذي خصص فصلا مطولا من كتابه "البرهان في وجوه البيان" للكتابة" ( الرؤية البيانية عند الجاحظ، ص133)

22- من هذه الأسئلة التي تستدعي تعميق البحث وتوسيعه:أي التصنيفين أصوب من منظور الدراسات اللسانية المعاصرة؟ وهل تصح مقارنة كتابين يصدران عن مقاربتين مختلفتين، مقاربة لغوية بلاغية عند الجاحظ ومقاربة فلسفية منطقية عند ابن وهب؟ وإلى أي مدى تصح مفاهيم من قبيل الاعتقاد في النظريات الفلسفية المعاصرة التي تمتاز بتوجهها اللغوي، الساعي لتجاوز مآزق التفكير الفلسفي القديم.

23- Kerbrat-Orecchioni, 1986, L'implicite, Paris : Armand Colin. p236

24- محمد العمري: الموازنات الصوتية/ في الرؤية البلاغية والممارسة الشعرية، نحو كتابة تاريخ جديد للبلاغة والشعر، ص73

25- محمد العمري:البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص201

26- محمد العمري: البلاغة العامة في حوار الرصد والتنظير من الشعر إلى الخطاب،ضمن كتاب جماعي: البلاغة والخطاب، إعداد وتنسيق: محمد مشبال، ط1، دار الأمان، الرباط_المغرب 2014، ص15 _48

27- نفسه، ص16

28- نفسه، ص ن

29- المرة الأولى في ص189(سيأتي الحديث عنها في متن البحث)، والمرة الثانية في ص311، وهي إحالة صماء لا ضرورة لها جاءت مقترنة بالإحالة إلى ابن الأثير"المثل السائر"، دون أن يورد له قولا منصصا.

30- ترجمتي لـ FACE FLATTERING ACTS، وهو مفهوم وضعته ك. أوركيوني للدلالة على أفعال كلامية يقوم به المحاور تجاه محاوره، كالثناء والشكر للاستمرار في الحوار، وتجنب انقطاعه (ينظر: شارودو، باتريك- منغونو، دومينيك، 2002، معجم تحليل الخطاب، د ط، ترجمة عبد القادر المهيري- حمادي صمود، 2008، منشورات دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، ص252 )

31- محمد العمري: البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص10

32- محمد العمري:البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، **هـ2،ص189**

33- ينظر فهرسا الكتابين

34- محمد العمري: البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، هـ12،ص18

35- نفسه، ص 190

36- صدر في طبعته الأولى، سنة 2017، عن دار أفريقيا الشرق. الدار البيضاء- المغرب

37- صدر في طبعته الأولى، سنة 2014، عن دار كنوز المعرفة، عمان- الأردن

38- تأمل قوله في هذا الكتاب: "...نحاول رفع هذا اللبس لأن السكوت عليه يحول الكتاب عن مغزاه، من جهة، ويهدّد الجهود التي بذلت على مدى أربعة عقود، من أجل إعادة الاعتبار للبلاغة، بتنسيقها وتدليلها في حوار بين التراث العربي الغني تنوعا وعمقا، وبين المعطيات المنهاجية التي يتيحها البحث الحديث في الموضوع. نحن نحاور مشروع المؤلف كمغامرة علمية مشروعة ومحبذة ولا نقوّمه، وندافع عن حمى البلاغة ولن نسلمها للمتوهمين". ما نقرأه في مضمر هذا الكلام وصريحه هو زعم العمري أن البحث في موضوع البلاغة حكر عليه، وأن القراء ليسوا من النباهة والكفاءة بحيث يستطيعون تقييم ما يقرأون، وأنهم يبلعون كل ما يقدم إليهم، لدرجة أنهم يخلطون بين كتاب يدرس قضايا البلاغة وكتاب ليس له صلة بتلك القضايا.( محمد العمري، المحاضرة والمناظرة في تأسيس البلاغة العامة، ص95-96)

39- حمادي صمود: التفكير البلاغي عند العرب، م.س، ص12

40- نفسه، هـ3، ص15

41- نفسه، ص155

42- نفسه، ص157

43- Barthes Roland. Éléments de sémiologie. In: Communications, 4, 1964. P92

« La sémiologie restant à édifier, on conçoit qu'il ne puisse exister aucun manuel de cette méthode d'analyse; bien plus, en raison de son caractère extensif (puisqu'elle sera la science de tous les systèmes de signes), la sémiologie ne pourra être traitée didactiquement que lorsque ces systèmes auront été reconstitués empiriquement. Cependant, pour mener pas à pas ce travail, il est nécessaire de disposer d'un certain savoir. Cercle vicieux dont il faut sortir par une information préparatoire qui ne peut être à la

fois que timide et téméraire : timide parce que le savoir sémiologique ne peut être actuellement qu'une copie du savoir linguistique ; téméraire parce que ce savoir doit déjà s'appliquer, du moins en projet, à des objets non-linguistiques. »

44- حمادي صمود: التفكير البلاغي عند العرب، ص163